الفصل السابع

الوسائل الإعلامية المقرؤوة: الصحافة ــ الكتاب ــ المجلة

أ ــ الصحافة:

ما تزال الصحافة تحتفظ بمركزها بين وسائل الإعلام، لكن بعد ما طورت ذاتها، وبدلت وسائلها في الطباعة والتحرير والإخراج، وانتفعت بالأقمار الصناعية في نقل الكلمات والصورة، لقد بلغ عدد النسخ الصحفية المطبوعة في العالم 400 مليون نسخة، وهذا العدد يوزع على ثلثي سكان هذا الكوكب تقريباً، فهناك نصف مليار إنسان لا تصل الصحف إليهم بسبب الأمية، وتدني الدخل، وضعف المواصلات.

ولقد غزا الناس، من غير المسلمين، هذا المجال، كذلك تمكنوا فيه، فلدى اليهود على سبيل المثال 244 صحيفة في الولايات المتحدة وحدها، منها 158 دورية، ولديهم في أوروبا 348، ولهم في العالم كله صحف ومجلات ودوريات يبلغ عددها 760 دورية صحفية ومجلة، علماً أنه في الولايات المتحدة وكندا تصدر 1861 صحيفة يومية[1].

ظهور الصحافة:

ظهرت أول جريدة بغرض إعلامي في الصين عام 911 قبل الميلاد، وصدرت جريدة الوقائع الرسمية أكتاديورنا Actadiurna الرومانية عام 58 قبل الميلاد، أما بعد اكتشاف المطبعة، وبعد ظهور جريدة gazyette الأسبوعية الإيطالية

---

(1) انظر، الغلاييني، محمد موفق: وسائل الإعلام، مرجع سابق، ص: 152/ 154.

ذات الصفحات الثماني، فقد ظهرت عام 1665م. وهي جريدة علمية سياسية.

ثم تتابعت الصحف يتلو بعضها بعضاً، ويتزايد عددها بصورة مطردة في مختلف البلدان الأوروبية، حتى «جاء القرن التاسع عشر فأصبح عددها في البلدان الأوروبية 140 صحيفة يومية وأسبوعية ودورية، بينما نشأت أول صحيفة أمريكية باسم: «بوسطن نيوز ليترا» عام 1703 م، أي قبل استقلال الولايات المتحدة بسبعين عاماً ونيف[1].

وزادت أهمية الصحافة أكثر فأكثر حتى جاء يوم في عام 1891 م، عقد فيه مؤتمر في مدينة بوخارست، واجتمع في هذا المؤتمر ممثلون عن 300 صحيفة لإنشاء هيئة الاتحاد الدولي للصحافيين، ثم افتتحت محكمة الشرف الدولية في لاهاي، وقد تألفت هيئتها من صحفيين محترفين، وكان مؤتمر كوبنهاجن عام 1946، وبراغ عام 1947، أهم المؤتمرات الدولية الصحفية المعروفة حتى اليوم، حقيقة أخرى نقررها مأخوذة من إحصاءات منظمة اليونسكو الدولية التابعة لهيئة الأمم المتحدة أنه حتى عام 1960 بلغ عدد الصحف 30،000 جريدة منها ثمانية آلاف يومية، تطبع حوالي 250 مليون نسخة»[2].

توزيع الصحف في الغرب:

لم تكن الصحف المعروفة الآن موجودة قبل القرن السابع عشر عندما ظهرت صحيفة يومية صغيرة تسمى: الرسائل الإخبارية News Letters، طبعت ووزعت في المقاهي والنوادي، وأرسلت بالعربات التي تجرها الخيل من العاصمة لندن إلى ضواحيها، وبالرغم من ذلك فإن تطور الصحف قد تأخر نتيجة صدور ما يسمى بقانون الختم «stampact» عام 1712، حيث طلب من الصحف حمل خاتم الحكومة، وبحلول عام 1772 صدرت في إنكلترا أول صحيفة إنكليزية قومية حديثة

(1) انظر، السمان، محمد عبد الله: كيف نبني مؤسسات الإعلام على إعلامية، الرياض، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، 1394 هـ/ 1974م، ص: 418.

(2) لاوند، محمد رمضان: مقدمة عامة في الإعلام، الرياض، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، مرجع سابق، ص: 45.

سميت صحيفة النهار Morning post ثم أعقبتها صحيفة التايمز The Times عام 1785، والتي ما جاء عام 1814 م حتى أصبحت تطبع بمطابع تجارية، ومنذ ذلك الوقت فصاعداً أخذ تقدم الصحف وتطورها يحدث في مختلف الاتجاهات بإيقاع سريع[1].

الصحافة في العالم الإسلامي:

يبدو جلياً أن أول بلد في رحاب العالم الإسلامي عرف الصحافة هو مصر فعندما استولى الفرنسيون على مصر أصدروا صحيفة «كورييه ديلجيب» أي الوقائع المصرية، وكان في نيتهم إصدار مجلة غربية باسم «آلتنبيه»[2].

وأهم ما تضمنه مرسوم إنشاء التنبيه «أن الهدف منها هو التعريف بأعمال الحكومة الفرنسية، وتبصير الأهالي حتى لا يسيئوا الظن بالفرنسيين، ثم تمكين الثقة والترابط بين المصريين والفرنسيين، وأنها سوف توزع على نطاق واسع بالقاهرة والأقاليم، وسوف تعمل السلطات على إرسال بعض أعدادها إلى اليمن والشام وإفريقيا»[3].

وهكذا كانت نشأة الصحافة في بلاد المسلمين، «فهي لم تظهر على يد فرد أو جماعة من أفراد الشعب، وإنما تم ذلك على يد مستعمر كافر، اتخذها وسيلة تنقل ما يريد إلى من يريد»[4].

وصدرت صحيفة «الوقائع المصرية»، التي أصدرتها حكومة محمد علي مؤسس دولة مصر الحديثة، وهي أول صحيفة عربية صدرت في العالم العربي، وأضاف بعض الناس أن «الوقائع» سبقها إلى الوجود صحيفة صغيرة هي «جرنال الخديوي» أي: صحيفة الخديوي[5].

---

(1) انظر، the great encyclopeudia of universal knouledge, adhams press, Limited long Acre London, p 144.

(2) انظر، صابات، خليل: وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص: 81.

(3) الصاوي، أحمد حسين: فجر الصحافة في مصر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة، د.ت، ص: 81.

(4) أبو هلالة، يوسف: الإعلام في ديار الإسلام، مرجع سابق، ص: 33.

(5) الصاوي، أحمد حسين: فجر الصحافة في مصر، مرجع سابق، ص: 7.

وكانت الصحف في الدولة العثمانية في البدء رسمية، وكانت أول افتتاحية لأول عدد في الجريدة الرسمية العثمانية في 14 أيار 1832 م، تبحث موضوع وظيفة الصحافة في نقل الحقائق والأخبار الصحيحة، وتوضيح أعمال الحكومة والإتيان بالمعلومات المفيدة عن الحركة التجارية والعلمية والفنية والأدبية[1].

وكانت بداية الصحافة بصدور الصحف التالية:

* في مصر: صحيفة جرنال الخديوي عام 1827.

صحيفة الوقائع المصرية عام 1828.

* في الجزائر: صحيفة المبشر عام 1847 م، أصدرتها السلطات الفرنسية باللغة العربية لمخاطبة الشعب الجزائري.

* في تونس: صحيفة الرائد التونسي عام 1861.

* في سوريا: صحيفة سوريا التي أصدرها الوالي العثماني عام 1865.

* في ليبيا: صحيفة طرابلس الغرب عام 1866.

* في العراق: صحيفة الزوراء عام 1869.

* في اليمن: صحيفة صنعاء عام 1879.

* في السودان: صحيفة الغازيتا السودانية عام 1899.

* في الحجاز: صحيفة الحجاز الناطقة باسم الدولة العثمانية عام 1908[2].

وكانت بيروت بؤرة العمل للغزو الفكري والتغريب في العالم الإسلامي، بتوزعها على الإرساليات الفرنسية والأمريكية والإنكليزية، فكانت مؤهلة بذلك

(1) انظر، لويس، برنار: الغرب والشرق الأوسط، ترجمة صبحي نبيل، القاهرة، 1967، ص: 58.

(2) انظر، عبد الرحمن، عواطف: قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث، الكويت، كتاب عالم المعرفة العدد 78، 1404 هـ/ 1984م، ص: 109/ 111.

للتصدير، في حين كانت القاهرة ملتقى مخططات التغريب وموزعتها عن طريق الصحافة والثقافة والتعليم في العالم الإسلامي كله.

لقد احتاج الإنكليز بعد احتلال مصر إلى موظفين «أكفاء يتقنون لغتهم ويقبلون أن يتعاونوا معهم، فَسَدَّ اللبنانيون والسوريون الفراغ، وقد وصفهم اللورد كرومر في مذكراته بأنهم «منحة من السماء» وأنهم «خميرة البلاد».

وأنشئت في مصر صحف باللغة العربية ناطقة باسم الاحتلال، وكان لها دور كبير في الغزو الفكري المدمر الذي سرى سمه في معظم أفكار العالم الإسلامي، ومن هذه الصحف:

1 ـ الأهرام 1876، أسسها سليم وبشارة تقلا.

2 ـ المقطم 1889، أسسها يعقوب صروف.

3 ـ المقتطف: 1889، أسسها يعقوب صروف.

4 ـ الهلال 1892، أسسها جرجي زيدان.

5 ـ لسان العرب 1894، أسسها نجيب وأمين الحداد.

6 ـ البصير 1897، أسسها رشيد شميل.

7 ـ الدمار 1903، أسسها نسيم العازار.

8 ـ الجوائب 1903، أسسها خليل مطران[1].

ودعت هذه الصحف إلى الإباحية والتحرر تحت راية الفن، ودافعت عن الفساد باسم الحرية، و«قادت معارك الهجوم الضارية على التراث الإسلامي وحضارة المسلمين وتشويه تاريخهم، وأذكت في المسلمين نار القومية الكافرة، التي تحارب الإسلام، وتتنكر لرابطته وتعادي أمته، ودعت أيضاً إلى إحياء الحضارات الغابرة المندثرة، والاعتزاز بها والتعصب لأصحابها، كالفرعونية والفينيقية،

(1) انظر، **أبو هلالة، يوسف**: الإعلام في ديار الإسلام، مرجع سابق، ص: 34/ 35.

وشجعت كذلك كل حركة أو دعوة تهدف إلى حرب الإسلام، وإبعاد المسلمين عن دينهم ومراكز قوتهم كالقاديانية والبهائية والماسونية»[1].

وقد تزعم أصحاب هذه الصحف والمجلات الدعوة إلى العلمانية والتحررية من الفكر العربي، ولا ترجع خطورة هذه الصحف إلى ما كانت تبثه من آراء وما تنشره من سموم فحسب، بل إن خطورتها «ترجع إلى أنها كانت مركزاً لتنشئة الجيل الثاني من الصحفيين على هذه المبادىء الدخيلة، وهو الجيل الذي خرّج بدوره جيلاً آخر، جاءت وتجيء من بعده أجيال على شاكلته، فلم نبلغ منتصف القرن العشرين، حتى كانت الصحافة كلها في أيدي العلمانيين»[2].

وقد بلغ من تأثير رجال الصحافة في رحاب أمتنا الإسلامية، أن معظم الكتاب والصحفيين يعتبرونهم القدوة المثلى في الفكر والوطنية والعطاء.

وكانت صحف: الأهرام والمقطم والمقتطف، اللسان الناطق لسلطات الاحتلال باللغة العربية، فأيدت ذلك الاحتلال، وهاجمت الحركات الوطنية، وكان لتلك الصحف في دنيا المسلمين أثر كبير.

1 ـ الأهرام:

تأسست هذه الصحيفة السياسية التجارية الأدبية، في 5 آب 1876 م، لصاحب امتيازها ورئيس تحريرها سليم تقلا، ومديرها «بشارة تقلا» وكانت في أول أمرها أسبوعية صغيرة الحجم. . . وما زالت تنمو حتى صارت صحيفة يومية كبرى، وكانت سياستها الخارجية تميل إلى فرنسا»[3].

وحرر في الأهرام محررون ندرك من أسمائهم هويتها ومضمونها، وهم «إسكندر كسيب، فتح الله صوصه، إسكندر صباغ، جرجي نصار، قيصر زينبه،

(1) دروزه، محمد عزة: نشأة الحركة العربية الحديثة، صيدا (لبنان)، المكتبة العصرية، د.ت، ص: 140.

(2) حسين، محمد محمد: الإسلام والحضارة الغربية، بيروت، المكتب الإسلامي، 1979، ص: 56.

(3) طرزي، فيليب: تاريخ الصحافة العربية، بيروت، المطبعة الأدبية، 1922، ج3، ص: 5.

خليل زيدان، نجيب الحداد، رشيد شميل، خليل زينبه، خليل مطران، خليل جاويش، أدوار مرقص»[1].

ولقد رسمت الأهرام لنفسها خطاً محايداً في دنيا السياسة المحلية المصرية، وخطاً وديعاً في عالم السياسة العالمية، فلم تعترض على ظلم، ولم تقاوم احتلالاً، ثم اتخذت طابع الهدوء في التعليق، والرصانة في سوق الخبر، ولكنها ظلت تدس السم في الدسم في مجالات شتى، أولها الميدان الاجتماعي المصري والحياة الفكرية العربية[2].

ـ دورها السياسي والاجتماعي: مر على الأهرام حِينٌ من الدهر، لقيت فيه من الرواج ما لم تلقه صحيفة عربية أخرى، ولئن كانت أقلامها سابقاً ليست لها هوية الإسلام، فقد استطاعت أن توسد الأمانة لقوم يحملون أسماء المسلمين، وهم أخطر على المسلمين من غير المسلمين، وكانت الأهرام تكتب بصراحة فتقلب الباطل حقاً والحق باطلاً.

لقد حمدت الأهرام الله تعالى يوماً بصراحة على لسان رئيس تحريرها، أن تمكن العدو من تدمير طائرات مصر في حرب 1967، دون أن يتمكن من سحق الطيارين، لأن الطائرات تعوّض! أما الطيارون فمن الصعوبة بمكان أن يعوضوا بالسرعة المطلوبة[3].

2 ـ المقطم:

تعتبر المقطم من كبريات الصحف العربية في أوائل القرن العشرين، وأكثرها انتشاراً، وهي يومية سياسية تجارية أدبية، أسسها في 14 شباط 1889 م ثلاثة من سوريا هم: يعقوب صروف، وفارس نمر، صاحب مجلة المقتطف، وشاهين مكاريوس، منشىء مجلة اللطائف الشهرية، وقد جرت على خطة الاحتلال الإنكليزي، تعزز أركانه، وتناصره في مبادئه، وتنطق بلسان حاله، وقد صرح

(1) **طرزي، فيليب**: تاريخ الصحافة العربية، بيروت، المطبعة الأدبية، 1922، ج3، ص: 53.

(2) انظر، **العظم يوسف**: رحلة الضياع للإعلام العربي المعاصر، مرجع سابق، ص: 16.

(3) انظر: المرجع السابق ذاته، ص: 19.

أصحابها بأن غرضهم السياسي من تأسيسها معلوم ظاهر في كل صفحة من صفحاتها، وهو تأييد السياسة الإنكليزية، التي لولاها ما كان في الشرق بلد يستطيع أحد أن يعيش فيه، ويجاهر بآرائه وأقواله[1].

ولقد حملت المقطم رسالة العمالة بجلد، ولاقت في سبيل حرب المسلمين صعوبات كثيرة، أدت إلى ثناء جرجي زيدان عليها، وإطرائه لها إذ يقول: «أما المقطم فلاقى في سبيل البقاء في خطته، مشقات جسيمة قل من يصبر عليها»[2].

وروى ولي الدين يكن ما نصه: «وما لاقاه المقطم من أعدائه أعظم، فكم تآمروا عليه جماعات، وقصدوا إلى إدارته ليضربوا أصحابه، ويلحقوا بهم كل سوء، فتعجلهم الحكومة المصرية بحماة الأمن، ففرقوا المهاجمين ودفعوا عن المقطم شرهم، وكم حاولت حكومة الاستبداد كسر تلك الأقلام التي نمقت ديباجة المقطم، والانتقام ممن صرت في أناملهم، فحال اللورد كرومر بينهم وبين ما يشتهون»[3].

3 . المقتطف:

مجلة شهرية علمية صناعية، أنشأها في غرة حزيران 1876، الدكتور يعقوب صروف، والدكتور فارس نمر، من بواكير تلامذة الكلية الأمريكية في بيروت، كانت المقتطف تشتمل أولاً على 24 صفحة، ثم اتسع نطاقها تدريجياً حتى بلغ عدد صفحاتها 104، بحرف دقيق ومباحثها تتناول كل فن ومطلب، بحيث لو جمعت موادها العديدة في ترتيب حروف الهجاء، لتألفت منها دائرة معارف، أو قاموس يرجع إليه الباحثون في فروع العلوم المختلفة[4].

وعملت المقتطف والهلال في تعاون، على تطوير الفكر الإسلامي، وإشرابه الروح العلمانية التحررية، التي سادت أوروبا في القرن التاسع عشر، التي تعتبر العلم بمعناه الغربي الحديث، الذي يقوم على التجربة، وعلى منطق البحث العقلي،

(1) **طرزي، فيليب**: تاريخ الصحافة العربية، مرجع سابق، ج3، ص: 34.
(2) المرجع السابق ذاته، ص: 35.
(3) المرجع السابق ذاته، ص: 36.
(4) المرجع السابق ذاته، ج3، ص: 52.

لوناً من العبادة التي تستحق أن يكرس لها الإنسان عمره، والتي يجب أن تقوم مقام الدين في التمييز بين الخير والشر.

وقد تجنّبت المجلتان، كل ما يتصل اتصالاً مباشراً بالسياسة المحلية أو الدين، ولكنهما كانتا تسيران على تخطيط ثابت مدروس، تخفى آثاره على غير المدقق البصير، وتعملان في بطء دؤوب على الوصول إلى أهدافها، فكان كل ما ينشرانه يقرّ في أذهان القراء، ويعمق في وعيهم تصوراً جديداً للحق ما هو؟ وكيف ينبغي أن نبحث عنه؟ وماذا يجب على القارىء العربي أن يعرف، لكي يصل إليه. هذا التصور الجديد يقوم على أن العلوم أساس الحضارة الصحيحة، وأن العلوم والمذاهب التي تتضمنها الحضارة الغربية، ذات قيمة عالمية، وأن من الممكن إيجاد نظام أخلاقي اجتماعي، يستند إلى هذه الكشوف والمذاهب الجديدة، التي هي السر في قوة الغرب الاجتماعية، وإن أساس هذا النظام الأخلاقي الجديد هو الوطنية، وإن هذه الرابطة يجب أن تتقدم على سائر الروابط الأخرى[1].

دور الصحافة في تفتيت العالم العربي:

كانت معظم الصحف التي نشأت في ظل الاستعمار، وبخاصة الإنكليزي في مصر، تنشر أفكار الكتّاب الداعين إلى القومية، ومن هؤلاء على سبيل المثال نجيب عازوري، أحد رواد القومية العربية، ومؤسس جامعة الوطن العربي في القرن العشرين، ومؤسس صحيفة الاستقلال العربي، في باريس، الذي عاد بعد سقوط السلطان عبد الحميد لخوض الانتخابات، فحكم عليه بالإعدام لقيامه بنشاطات تمس أمن الدولة، فهرب إلى مصر وترأس تحرير صحيفة «مصر»، وأسس محفلاً ماسونياً[2].

ورد على مشروع الجامعة الإسلامية بصورة عملية فدعا عام 1904 إلى تأسيس حزب سماه «جامعة الوطن العربي»، وفي كتابه «يقظة الأمة العربية» يطرح

---

(1) حسين، محمد محمد: الإسلام والحضارة العربية، مرجع سابق، ص: 60.

(2) انظر، بني المرجة، موفق: صحوة الرجل المريض، الكويت، مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشر، 1984، ص: 157.

فكرته فيقول: «لا شيء أكثر تحرراً من برنامج «جامعة الوطن العربي»، فهي تريد قبل كل شيء لمصلحة الإسلام والأمة العربية فصل السلطة المدنية عن السلطة الدينية، وإقامة إمبراطورية عربية تمتد من الفرات ودجلة إلى خليج السويس، ومن المتوسط حتى بحر عمان، وستتخذ الحكومة شكل السلطنة الدستورية المرتكزة على حرية كافة المذاهب ومساواة كافة المواطنين أمام القانون، وستحترم مصالح أوروبا وكافة الامتيازات والمزايا التي منحها إياها الأتراك حتى اليوم.

وستحترم أيضاً الحكم الذاتي في لبنان، واستقلال إمارات اليمن ونجد والعراق، وتمنح عرض الإمبراطورية العربية على أمير من العائلة الخديوية المصرية، يعلن صراحة أنه سيبذل كل طاقاته، وكافة موارده لهذه الغاية، وتتخلى الجامعة عن فكرة الجمع بين مصر والإمبراطورية العربية في ظل ملكية واحدة، لأن المصريين لا ينتمون إلى العرق العربي، فهم من عائلة البرابرة الإفريقيين، واللغة التي كانوا يتكلمونها قبل الإسلام لا تشبه العربية قط.

أضف إلى ذلك قيام حدود طبيعية بين مصر والإمبراطورية العربية يتوجب احترامها، حتى لا تدخل في الدولة الجديدة بذور التنافر والهدم، كما أن الخلفاء العرب لم ينجحوا في السيطرة طويلاً على هذين البلدين»[1].

ولا يترك المستشرق «مارجليوت»، واحداً من مؤرخينا دون تجريح، بدءاً بالهيثم بن عدي المولود عام 130 هـ، الذي اتهمه على لسان جاريته بالكذب للإقلال من قيمة سبقه في اعتماد مبدأ التاريخ باليوم والشهر والسنة، وحرصه على إسناد رواياته بدقة، ويهاجم البلاذري، كما يتهم ابن قتيبة بالإهمال، ويصف اليعقوبي بالتقصير والجنوح والخبال، ولا يوفر ياقوت الحموي، بينما يشيد بمسكويه الفارسي لتحيّزه إلى جانب البويهيين ولما اشتهر عنه من استخفاف بالدين، وحتى ابن الخطيب وابن عساكر وابن الجوزي وأبو الفدا وابن خلدون لم ينجوا من اتهاماته وتجريحه، كما أنه يقلل من قيمة جهود المقريزي وابن إياس، ويصور للعالم أن كل ما قرأه عن حضارة الإسلام وأمجاده هراء في هراء[2].

(1) المرجع السابق ذاته، ص: 157/ 158.

(2) المرجع السابق ذاته، ص: 19.

فالنبي ﷺ «كان له تسع زوجات! وعمر ﷺ انتقم من خالد ﷺ لعداء جاهلي قديم فعزله! وهارون الرشيد شغل عن ملكه بزبيدة وأبي نواس وأبي دلامه! والحاكم بأمر الله انتهى مجنوناً! وصلاح الدين الأيوبي هادن ريتشارد قلب الأسد إكراماً لعيني شقيقته! والسلطان عبد الحميد الثاني ثعلب أحمر وطاغية فاسد ومفسد! وشهداء 6 أيار مجموعة من الشبان الذين افتدوا العروبة بدمائهم وشيدوا صرح الاستقلال بجماجمهم![1].

مما يجعل القارىء يخرج بصورة قائمة لتاريخنا العربي الإسلامي بعد أن اهتزت صور أجمل شخصياته.

سمات الصحافة:

تمتاز الصحافة بسمات تختص بها عن غيرها من وسائل الإعلام، منها:

1 ـ السرعة: لأن غالبية الصحف تصدر يومياً، ولذا فإن عليها متابعة الأخبار بسرعة كبيرة لتطلع قراءها على ما جدّ منها، وهذا ما يجعل الصحيفة بحاجة إلى تزويد مستمر وسريع، وهو أمر يقع على وكالات الأنباء بالدرجة الأولى، وفي واقع الأمر فإن وكالات الأنباء تغرق الصحيفة بالأخبار المتلاحقة بحيث لا يمثل ما ينشر منها أكثر من الثمن.

2 ـ سهولة التناول: حجم الصحف صغير، ومواضيعها متعددة متنوعة، تقرأ بسرعة، فهي تتألف من الأخبار، وما يتعلق بها من تحليل وتعليق، ومن المقالات الصغيرة والحديث الصحفي والتحقيق الصحفي، والسعر الزهيد للصحيفة عامل هام من عوامل انتشارها، لأن بإمكان كل شخص شراءها، رغم انخفاض مستواه المعيشي بخلاف الكتب والمجلات.

3 ـ الانتشار السريع: توزع الصحف في أنحاء البلد كافة الذي تصدر فيه، وغالباً ما توزّع في البلدان المجاورة أيضاً عند السماح لها بذلك. وقد أسهم البريد العادي والجوي والالكتروني في سرعة إيصال الصحيفة لجميع المناطق، حتى غدت السرعة صفة لازمة للصحافة[2].

---

(1) المرجع السابق ذاته، ص: 20.

(2) الحيري، وليم: الأخبار مصادرها ونشرها، 1968، ج1، ص: 7.

دور الصحافة في الدعوة الإسلامية:

عندما تكون الصحافة بأيد مسلمة واعية تؤدي دوراً هاماً في الدعوة الإسلامية وخدمة قضايا المسلمين، فهي:

1 ـ ميدان خصب لطرح الفكر الإسلامي والعقيدة الإسلامية، ومناقشة الآراء المعادية، ويحتاج هذا الأمر إلى بسط أمور وبيان الجوانب كافة، وتسمح الصحافة بعرض المسائل المعقدة بلغة مبسطة، خلافاً للكتاب الذي لا يقتنيه إلا الخاصة غالباً.

2 ـ مجال واسع لمتابعة أخبار العالم الإسلامي مع تحليلها من وجهة النظر الإسلامية، ونقل الأخبار وتحليلها والتعليق عليها من أهم وظائف الصحافة، وهو أمر محقق في الصحافة الكثيرة المنتشرة اليوم، لكن السؤال الذي يطرح هو: أي صحيفة منها تعالج الأخبار من وجهة نظر الإسلام؟

تعالج كل صحيفة المواضيع من وجهة نظرها، أو بالأصح من وجهة نظر الجهة التي تتبعها، فإذا كان اتجاهها غرباً ولت وجهها شطر الغرب، وإذا كان اتجاهها شرقاً، ولت وجهها شطر الشرق، وهكذا.

وللإسلام تصور شامل فيما يتعلق بالأحداث، حيث وضع في يد المسلم ميزاناً ثابتاً يقوّم به القضايا والأحداث التي تقع، حتى يكون على بيّنة من أمره، فالله تعالى قد يعجّل العقوبة للكافرين في الدنيا، فينزل بهم سخطه فتقع الحروب المدمرة، أو تحدث الكوارث الطبيعية مثل الأعاصير والخسف، وما إلى ذلك، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾[1].

وقد تكون العقوبة قلقاً نفسياً مما يؤدي إلى ظهور الأمراض النفسية والعصبية، وهو أمر بات من أمراض الحضارة المادية المعاصرة، وهو عقوبة عاجلة في الدنيا أيضاً نتيجة البعد عن منهج الله تعالى وهديه لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾[2].

---

(1) سورة: الإسراء، الآية: 16.

(2) سورة: طه، الآية: 124.

وكذلك قد يسلط الله تعالى الكافرين على المسلمين الذين انحرفوا عن منهج الله تعالى وصراطه السوي كي يعودوا إلى رشدهم، وسلط اليهود، وهم المغضوب عليهم، علينا فسلبوا الأرض ودنسوا المقدسات. وهذا يعني أن هناك ترابطاً مستمراً بين الهزيمة والبعد عن الله تعالى، وهناك ترابط بين النصر وطاعة الله تعالى، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٨﴾[1].

وإذا ثابرت الصحافة الإسلامية على بيان هذه الروابط تكوّن لدى كل مسلم تصوّر واضح يقوّم من خلاله الأحداث، حيث تختلف نظرة العرب إلى القضية الفلسطينية.

فالعرب القوميون يرون أن فلسطين جزء من الوطن العربي، ويقع على العرب وحدهم واجب تحريرها، ويرى العرب اليساريون أن المشكلة هي في سيطرة القوى الإمبريالية العسكرية على الحكم في إسرائيل، والحل هو في القضاء على هذه القوى الإمبريالية العسكرية المسيطرة على الحكم في إسرائيل، لتلتقي الطبقة الكادحة من عرب ويهود على صعيد واحد، فلو تمكن الثوريون اليهود من إحكام قبضتهم على الحكم في إسرائيل لحلت المشكلة، لأن المهم هو سيطرة الطبقة الكادحة (البرو ليتاريا).

وتنبع نظرة المسلمين للقضية الفلسطينية من العقيدة الإسلامية، فاليهود في نظر المسلمين قوم آثمون معتدون، احتلوا فلسطين لإقامة كيان يهودي حاقد على الإسلام والمسلمين، هدفهم الأول الثأر ليهود بني قريظة والنضير، والحيلولة دون عودة الإسلام قوياً عزيزاً، فالصراع الحالي مع اليهود هو امتداد للصراع القديم، وهو أمر صرّح به يهود عند دخولهم القدس عام 1967م، عندما هتفوا: يا لثارات خيبر[2].

---

(1) سورة: محمد، الآيتان: 7، 8.

(2) **الغلاييني، محمد موفق**: وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة، مرجع سابق، ص: 162.

وما تسلط يهود على المسلمين إلا عقوبة لبعدهم عن هدي الله تعالى ومنهجه للحياة، وعندما يعود المسلمون إلى دينهم فسوف تكون نهاية اليهود.

3 ـ الصحافة وثيقة يعتمد عليها في التاريخ، ونحن بأمس الحاجة لهذه الوثائق لتكون عوناً للمؤرخين المسلمين المعاصرين، والآتين في المستقبل ليتمكنوا من عرض الحقائق من وجهة نظر إسلامية، وبخاصة أن كثيراً من الحقائق طمست عبر وسائل الإعلام، سواء كان هذا عن عمد، أو بدون عمد.

وتسهم حقائق التاريخ في تقدم الأمة الإسلامية ووحدتها، وكمثال على ذلك تعليل دخول المستعمر إلى البلاد الإسلامية واحتلاله لها، وتمزقها بعد خروجه منها، فلو أنصف المؤرخون لقالوا في هذين الأمرين: أن الاستعمار لم يحقق مآربه إلا بعد أن استبدل المسلمون رابطة القومية برابطة العقيدة الإسلامية، وأن تمزقهم استمر إلى الآن لسيطرة هذه الأفكار على عقولهم، ولاستبدالهم بمنهج الله تعالى لحياتهم، مناهج البشر من الشرق أو الغرب، فلو عاد للمسلمين تمسكهم بالإسلام عقيدة وشريعة لعادت إليهم قوتهم ووحدتهم، لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[1].

ويلقي أغلب المؤرخين المعاصرين باللائمة على المخططات الاستعمارية ونظرية المؤامرة فحسب، ناسين أو متناسين أن المستعمر لا يستطيع أن يطأ أرضاً وأهلها مستمسكون بحبل الله تعالى، مهما دبّر من مخططات وحاك من مؤامرات، ولا أدل على هذه الحقيقة التاريخية المؤلمة، هي أن الاستعمار لم يستطع الدخول للدول التابعة للدولة العثمانية ـ رغم ما كانت عليه من ضعف ـ إلا بعد أن قضى على الخلافة بإسقاطها على يد كمال أتاتورك، الذي كان قومياً متعصباً للطورانية محباً للغرب، كارهاً للإسلام، مؤمناً بفصل الدين عن الدولة[2].

---

(1) سورة: الأنعام، الآية: 153.

(2) انظر، **الغلاييني، محمد موفق**: وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة، مرجع سابق، ص: 163/ 164.

ب ــ الكتاب:

الكتاب من أقدم الوسائل المقروءة، لأنه خرج إلى الوجود قبل اختراع الكتابة بزمن طويل، وقد اختلف في تعريفه لأنه صعب التحديد، «وقد عرفت منظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة الكتاب عام 1964، لتتمكن من عمل الإحصائيات الخاصة به في الدول المختلفة فجاء تعريفها كالآتي: الكتاب هو المطبوع غير الدوري الذي يحتوي على 49 صفحة على الأقل، بدون صفحات الغلاف»[1].

والمقصود بالدوري هو «المطبوع الذي يخرج بشكل منتظم إن يومياً أو أسبوعياً أو شهرياً أو فصلياً، أي كل ثلاثة أشهر، وقد كان المصريون القدماء يستخدمون الحجر بالنقش عليه، ثم اكتشفوا ورق البردي في حوالي الألف الثالثة قبل الميلاد، ولم يعرف الإغريق الورق، إلا في القرن السابع قبل الميلاد، وظلت أوروبا تستعمله حتى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي»[2].

وقد مر الكتاب بثلاث مراحل هامة، هي بمثابة ثورات تاريخية وهي:

1 . تصنيع الورق:

كانت بداية تصنيع الورق في النصف الثاني من القرن الميلادي الثامن حينما تعلم العرب صناعة الورق من الصينيين، ومنذ ذلك التاريخ انتشرت مصانع الورق، حتى بلغت أوجها في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد (170 هـ/ 193 هـ) (786 م/ 809 م)، ولم تعرف أوروبا الورق إلا بعد أن دخل المسلمون إلى الأندلس، وبهذا كانت طليطلة أول مدينة أوروبية يصنع فيها الورق[3].

2 . اختراع الطباعة:

كان اختراع الطباعة في أواسط القرن الخامس عشر الميلادي، وفي العالم العربي، وصلت المطبعة إليه في أوائل القرن السابع عشر، وكانت البداية في دير

(1) بدر، أحمد: الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية، مرجع سابق، ص: 80.

(2) صابات، خليل: وسائل الاتصال نشأتها وتطورها، مرجع سابق، ص: 12.

(3) انظر المرجع السابق ذاته، ص: 12 وما بعدها.

قزحيا في لبنان، وفي عام 1702 م أنشئت المطبعة العربية في مدينة حلب السورية، ولكنها اقتصرت على نشر الإنجيل والتعاليم النصرانية، مثل: المزمار والصلاة، وغيرها، وكانت الطباعة تتم باللغة السريانية غالباً، وهي لغة غير متداولة، ولذلك لم يستفد الناس من وجود هذه المطابع[1].

3 . ظهور الكتاب الشعبي:

يقصد به «الكتاب ذو الطبعة الرخيصة الذي يستطيع الجمهور العام الحصول عليه، للتزود بمختلف ألوان الثقافة والعلم والأدب والفن وغيرها»[2].

وساعد على ظهور الكتاب ظهور المكتبات العامة التي أصبحت اليوم من لوازم المجتمع الحديث لأنها تسهم في بث الثقافة الجماهيرية، «وقد أولت الدول الكبرى المكتبة اهتماماً كبيراً. ولكي ندرك مدى اهتمامها بها نشير إلى أن في الاتحاد السوفياتي سابقاً مثلاً 124800 مكتبة عامة، تحتوي على حوالي 1198 مليون كتاب، أي لكل ألفين من السكان على وجه التقريب مكتبة عامة»[3].

مضمون الكتاب:

يمكن أن نحصر مضمون الكتاب الصادر باللغة العربية في القرن الماضي بأمور عدّة، لكن أهمها ثلاثة أمور هي:

1 . بث فكرة القومية العربية:

حيث أصدر «نجيب عازوري عام 1904 كتاباً بالفرنسية، هو «يقظة الأمة العربية»[4]، وفي أبان الدعوة إلى الجامعة الإسلامية «أصدر سليم نقاش» وهو نصراني شامي كتاباً اسمه: «مصر للمصريين»[5]، وأصدر قسطنطين زريق «الوعي

(1) انظر، بدر، أحمد: الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية، مرجع سابق، ص: 66/ 67.
(2) المرجع السابق ذاته، ص: 76.
(3) المرجع السابق ذاته، ص: 79.
(4) كشك، محمد جلال: القومية والغزو الفكري، بيروت، دار الإرشاد، ص: 316.
(5) حسين، محمد محمد: الإسلام والحضارة الغربية، مرجع سابق، ص: 69.

القومي»، وجاء بعدهم الحصري فكتب «آراء وأحاديث في القومية العربية» 1951، و«محاضرات في نشوء الفكرة القومية» 1955، و«العروبة أولاً»، وتستند نظرية الحصري في القومية العربية، على فرضية أساسية هي مفهومه للعرب أو للشعب العربي، على أنه ضم كل من يتكلم العربية، والتصور الكامل للقومية يحول الشعب بالضرورة إلى أمة، والأمة إلى دولة واحدة، والهدف الأخير للقومية يتلخّص في قوله: «سعيدة هي الأمم التي حققت وحدتها القومية وأكملت شخصيتها السياسية»[1].

ويحبذ الحصري نوعاً علمانياً من أنواع القومية العربية، بعيداً كل البعد عن الدين، نظراً لوجود مسيحيين عرب، تربطهم بالعرب الآخرين روابط اللغة والتاريخ، وهو يؤمن إيماناً كاملاً بمبدأ فصل الدين عن الدولة، وبأن الدين في العصر الحديث، أمر يخص ضمير الفرد وحده[2].

وقامت على أساس القومية دول كثيرة، وتشكلت أحزاب عديدة، واستطاع أن يرتقي «اليهود والنصارى في ظل هذا التزوير، أعلى المناصب في قيادة الأمة السياسية والفكرية، وبرزت في الساحة أسماء ميشيل وجورج وعفلق وكوهين وأنطون وقسطنطين، وخفت صوت الرابطة الإسلامية، ولا نكاد تسمعه إلا على ألسنة من يحملون دينهم وبه يستعصمون»[3].

2 . مهاجمة الحكم:

تكاد تكون أشهر الكتب التي تعرضت للخلافة في هذا العصر كتابين **أولها**: كتاب أم القرى لعبد الرحمن الكواكبي، الذي طبع في مصر عام 1899، وفي هذا الكتاب دعا إلى فصل الخلافة عن السلطنة، ودعا لجعل الخلافة في العرب فيقول: «إن معاناة حفظ الحياة السياسية ولاسيما الخارجية متعينة على الترك العثمانيين... حفظ الحياة الدينية متعينة عليهم (أي العرب)، ولا يقوم فيها مقامهم غيرهم مطلقاً، وأن انتظار ذلك من غيرهم عبث محض[4].

---

(1) **الحصري، ساطع**: آراء وأحاديث في القومية العربية، القاهرة، 1951، ص: 44.

(2) انظر، **الحصري، ساطع**: العروبة أولاً، بيروت، 1955، ص: 99/ 108.

(3) **الكواكبي، عبد الرحمن**: أم القرى، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، 1981، ص: 231.

(4) المرجع السابق ذاته، ص: 235.

ثم يسرد مزايا العرب وفضلهم، ويعدد صفاتهم التي بها يستحقون الخلافة دون سواهم فيقول: العرب من أحرص الأمم على احترام العهود عزة، واحترام الذمة الإنسانية، واحترام الجوار شهامة، وبذل المعروف مروءة، والعرب أنسب الأقوام لأن يكونوا مرجعاً في الدين وقدوة للمسلمين، حيث كان بقية الأقوام قد اتبعوا هديهم ابتداء، فلا يأنفون عن اتباعهم أخيراً».

ويختم بتعداد صفات العرب بقوله: فهذه هي الأسباب التي جعلت جمعية أم القرى تعتبر العرب هم الوسيلة الوحيدة لجمع الكلمة الدينية، بل الكلمة الشرقية»[1].

أما الكتاب الثاني: فهو «الإسلام وأصول الحكم» لعلي عبد الرزاق، ويحاول في هذا الكتاب أن يثبت أن الخلافة ليست من أصول الشريعة، وإنما هي نظام متعارف عليه وفي الباب الثاني من الكتاب، يتحدث عن نظام الحكم في عهد النبوة، وفي القسم الثاني من الباب ذاته، يتحدث عن الإسلام، وأنه رسالة لا حكم، وأما الباب الثالث فيصل إلى ما يريد وهو أن الإسلام دين لا دولة، فيقرر «فلم يدع أحد قط أن صلاح شأن الرعية وصيانة شعائر الدين مربوطان باسم الخلافة، وأن لقب الخلافة كالرقية النافعة، يذهب بها كل بأس، أو الدعوة المستجابة، ينزل عندها كل خير، والذي نعلمه ويعلمه أشباه العامة من المسلمين أن الخلافة لا تريك آثارها، وتمنحك ثمارها من متعة وعزة وعدالة إلا إذا سارت على سنة العزم في الأمور، والحكمة في السياسة»[2].

3 ـ قضية المرأة:

بدأت حركة تحرير المرأة في مصر، إذ كتب «قاسم أمين» عام 1899 كتاب «تحرير المرأة»، وفي عام 1900 كتاب «المرأة الجديدة»، وفي كتابه تحرير المرأة دعا إلى مساواة المرأة بالرجل، فقال: «إن الإسلام سبق كل شريعة سواء في مساواة

(1) المرجع السابق ذاته، والصفحة ذاتها.

(2) عبد الرزاق، علي: الإسلام وأصول الحكم، القاهرة، مطبعة مصر، ط 3، 1344 هـ/ 1925 م، ص: 90.

المرأة بالرجل»[1]، وهاجم الحجاب بقوله: «إن الشريعة ليس فيها نص يوجب الحجاب، ولكنها عادة استحكمت في الناس كسائر العادات الضارة، والدين منها براء»[2].

وناقش في كتابه الثاني «المرأة الجديدة» حجج المعارضين لحرية المرأة، التي دعا إليها في العمل والسفور، وكرر هجومه على الحجاب وعلى الحضارة الإسلامية، فقال: «متى يقرر أن المدينة الإسلامية هي غير ما هو راسخ في مخيلة الكتّاب، الذين وصفوها بما يحبون أن تكون عليه، لا بما كانت في الحقيقة عليه، وثبت أنها كانت ناقصة من وجوه كثيرة، فسيان عندنا بعد ذلك أن احتجاب المرأة كان من أصولها، أو لم يكن، وسواء صح أن النساء في أزمان خلافة بغداد والأندلس كن يحضرن مجالس الرجال أو لم يصح، فقد صح أن الحجاب هو عادة لا يليق استعمالها في عصرنا»[3].

وسرى فكر قاسم أمين في جميع أنحاء العالم الإسلامي، واستجابت الكثرة الكاثرة من نساء المسلمين لهذه الدعوة، تحت عناوين كثيرة، خدعت بها المرأة من مسابقات الجمال والحفلات الساهرة وغيرها.

إن المرأة التي تحررت بمفهوم أنصار تحرير المرأة ما بلغت في خدمة الحضارة والعلم شيئاً مما بلغته المرأة المتحجبة، التي تأدبت بأدب الإسلام، وساهمت في بناء أمتها، وخطت خطوات رائعة، لم تستطع المرأة المعاصرة التي كانت ضحية تلك المخططات الإجرامية، أن تبلغ جزءاً مما بلغته المرأة المسلمة تلك.

لقد أسهم الكتاب الإسلامي في الحفاظ على الفكر الإسلامي، والدفاع عن الحضارة الإسلامية، التي بدأ أعداء الإسلام في الداخل والخارج التشكيك فيها.

ولا زالت المكتبة الإسلامية بحاجة إلى المزيد من الكتب الإسلامية التي تعالج مشكلات المسلمين، وبخاصة التي تتحدث عن الدعوة الإسلامية وقضايا

(1) **أمين، قاسم**: تحرير المرأة، القاهرة، مطبعة الشعب، 1911، ص: 11.

(2) المرجع السابق ذاته، ص: 59.

(3) **أمين، قاسم**: المرأة الجديدة، القاهرة، مطبعة الشعب، 1911، ص: 183.

المسلمين بشكل مباشر، لأن الغزو الفكري الشرس، يحرص على إبعاد المسلمين عن دينهم.

ومن هنا ندرك أهمية الكتاب الإسلامي الذي يتولى معالجة الموضوع من جذوره كي تزال شبهات المغرضين، وتعلو كلمة الحق، وتعود للمسلمين ثقتهم المطلقة بقدرة إسلامهم على جمع الأمة الإسلامية من جديد، كما تم ذلك في الماضي، استجابة لقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[1].

ج ــ المجلة:

تأتي المجلة في المرتبة الثانية بعد الصحيفة من حيث التأثير والانتشار، لأن الصحيفة بمتابعتها اليومية للأخبار تحظى باهتمام الجمهور، ورغم أن المجلة تشبه الصحيفة في عدد من الأمور، إلا أنها تختلف عنها بالأمور التالية:

1 ـ المجلة أوسع حجماً من الصحيفة، وهذا ما يجعلها متعددة المهام واسعة المجال، ففيها تعرض القضايا الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية بشكل موسع.

وإذا كانت الصحيفة تعنى بالمقام الأول بالأخبار، فإن المجلة إضافة إلى ذلك مجال خصب لعرض الحقائق الكامنة وراء الأخبار.

2 ـ الصلاحية الظرفية: إذ لا بد أن ترتبط الموضوعات بما يجري من أحداث ومشكلات، وما يتلاءم مع الفترة الزمنية التي تنتشر فيها.

3 ـ الأصالة والابتكار: يجب أن تكون الأفكار المطروحة عبر المجلة أصيلة، وإذا كانت مستقاه من مصدر آخر فيجب الإشارة إليه، ويزداد الإقبال على المجلة التي تكون سباقة في نشر الجديد من الأفكار أو المعلومات أو الأخبار والمكتشفات، لأن الناس دائماً يرغبون التجديد.

(1) سورة: آل عمران، الآية: 103.

4 ـ هوية الكاتب: فمن الملاحظ أن بعض المقالات يلقى القبول والاهتمام بسبب كاتبه، لما يتمتع به من فهم وعمق أو خبرة ودراسة، أو شهرة في مجال معين، وهذا ما نلاحظه بالنسبة لدعاة الإسلام المشهورين.

لذلك تنجح المجلات غير الإسلامية في حين تفشل المجلات الإسلامية! لماذا نجحت مجلة «المختار» وهي ليست ذات طابع إسلامي، حتى أصبحت تطبع في أربع عشرة لغة، وحتى بلغ توزيعها إلى سبعة وعشرين مليوناً من النسخ في الشهر، ووصل توزيعها في الولايات المتحدة إلى ستة عشر مليوناً، وهي واسعة الانتشار في كندا، وألمانيا، وفرنسا وإنكلترا، والمكسيك، وفنزويلا، والبرازيل، والأرجنتين وتشيلي، وجنوب إفريقيا والهند[1].

فلماذا نجحت هذا النجاح الخطير؟ ليس ثمة من إجابة سوى أنها تستوعب حاجات القراء ومتطلباتهم.

ومجلة العربي كانت من أكثر المجلات انتشاراً في العالم العربي إلى عهد قريب، «وأترك الإيضاح عن السبب للمرحوم الدكتور أحمد زكي الذي كان رئيساً لتحريرها، فقد كتب في إحدى الافتتاحيات يقول: لا نزال واقفين بالعربي عند مائة وخمسين ألف نسخة نصدرها في الشهر الماضي، وعند مائتين وخمسين ألف نسخة نخرجها أول العام، وما زالت الأسواق تطلب المزيد فضاعفنا، والعربي يحاول دائماً لنشر آراء القراء ومناقشاتهم في مختلف الأمور.

2 ـ الإسهام في تحقيق الوحدة الثقافية بما تطرحه من موضوعات فكرية وثقافية مسهبة عبر صفحاتها الكثيرة، ومن المعروف أن القارىء لا يحرص على الاحتفاظ بأعداد صحيفة ما، فهو يلقي بها في سلة المهملات بُعَيْد قراءتها، أما المجلة فإنه يحرص على المحافظة عليها، لتكون في متناول يده عند الحاجة إليها.

3 ـ المجلة، برلمان مصغر، فهي ساحة للمناقشة وطرح الآراء المختلفة، وكثيراً ما يحدث أن يطرح كاتب موضوعاً أو فكرة ما، فينبري له آخر أو عدد من الكتّاب والمفكرين بالرد والتفنيد.

(1) بدر، أحمد: الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية، مرجع سابق، ص: 76.

4 ـ الإسهام في الدعوة إلى الإصلاح بشتى أشكاله الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية، وذلك على أساس من عقيدة الأمة ودينها.

وتتفوق المجلة على الكتاب بتنوع الموضوعات في العدد الواحد، ليجد كل قارىء ضالته فيها.

5 ـ استخدام الكتابة الأدبية على نطاق واسع، فالمجلة تتسع صفحاتها لتضم الأشكال الأدبية المختلفة، مثل: القصة القصيرة، والشعر، والمقال الأدبي، والمسرحية القصيرة ذات الفصل الواحد، والنقد الأدبي.

ولا يخفى على أحد الدور الهام الذي تقوم به الكتابة الأدبية بأشكالها المختلفة في خدمة الفكرة الكامنة وراءها، فهي تدخل إلى النفس من خلال الأسلوب الشيق والمعنى الجميل[1].

الخصائص الواجب توافرها في المواد المكتوبة للمجلة:

1 ـ **الجاذبية**: لكل مجلة جمهورها الخاص بها في الغالب، ولذلك لا بد أن تختار المجلة مواد تجذب الجمهور.

أن تبتعد عن أن تكون لها صفة الصحافة اليومية، التي تعتمد على الخبر، ومن الصحافة الأسبوعية ليبقى أكثره للثقافة وقيمتها الدائمة خالصاً. ولا نزال عند أبواب للثقافة ثابتة، ثابتة العنوان مختلفة المحتوى، ورأى البعض أن الصحافة لا تحيا، إلّا على التغيير واقترحوه علينا، قلنا: ماذا نضيف؟ وماذا نحذف؟ قالوا: أضيفوا باباً للتعارف، وباباً للرياضة البدنية، وباباً لنجوم السينما، وباباً لتعليم الجنس... قلنا: هذه لا تنسجم مع ما نحن فيه، ومع هذا فلها صحفها المميزة، وسألنا: فماذا نحذف؟

وهنا احتار طالبو التغيير، فحمدنا الله أن الحيرة وقفت بهم عند أبوابنا الثابتة، فلم يعثروا على تغيير شيء منها[2].

---

(1) انظر، **الغلاييني، محمد موفق**: وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة، مرجع سابق، ص: 176/ 178.

(2) **نصر، محمد إبراهيم**: الإعلام وأثره في نشر القيم الإسلامية وحمايتها، مرجع سابق، ص: 176.

هذا القول الذي ردده الدكتور أحمد زكي ينير الطريق إلى سر النجاح الذي تحقق لمجلة العربي، وهذا عينه يفتح الطريق أمام الإعلام الإسلامي بصفة عامة، لتحقيق أهدافه الكبرى في نشر القيم الإسلامية، ومبادىء الإسلام السمحة، حتى تأخذ طريقها إلى قلوب المسلمين وإلى عقولهم.

معوقات تعيق تطور المطبوعات:

تعاني الكلمة المطبوعة في المجتمع الإسلامي من أزمة تكاد تقضي عليها، للأسباب التالية:

1 ـ سيطرة أعداء الإسلام على وسائل الإعلام وإمكانياتها.

2 ـ محاربة أعداء الإسلام للكلمة المطبوعة التي تتعارض مع أهدافهم ومصالحهم، أو الحد من انتشارها.

3 ـ توفّر الكلمة المطبوعة الغربية بالأسواق العالمية والأسواق الإسلامية بلغتها الأصلية، أو مترجمة وبأسعار رخيصة.

4 ـ ضآلة الكلمة المطبوعة الإسلامية لعدم توفر كتّاب على مستوى الفكر الإسلامي وبالعدد المطلوب، والذي يلبي حاجات المجتمع الإسلامي بخاصة، والمجتمع العالمي بعامة، كالمطبوعات الموجهة للأطفال أو النساء أو الشباب، أو تخص فئة معينة من فئات المجتمع الإسلامي، أو التي تبث فكرها عن طريق القصة أو المسرحية، أو التي تبحث في مشاكل المجتمعات وتقديم الحلول لها.

5 ـ استخدام المطبوعات في كثير من الأحيان تجارة وسلعة، دون أن تكون عقيدة ورسالة، فتدنّى مضمونها، وأصبح الكم يتغلب على الكيف، والمظهر على المحتوى، وأصبحت مؤسسات الطباعة الخاصة والرسمية كأنها مؤسسات تجارية.

6 ـ استخدام كثير من المطبوعات والمصورات لإثارة الغريزة الجنسية وقتل التفكير.

7 ـ الاعتماد على نشر التراث الإسلامي القديم، وهو لا شك خير وفيه فائدة، ولكن دون أن يتطوّر لنشر مضامين جديدة معاصرة ومستقبلية.

8 ـ قلّة المكتبات العامة التي تساعد الباحث والقارىء، والتي هي وسيلة من وسائل الإعلام، ولعل أغلب المدارس والمؤسسات تفتقر لمكتبات، باستثناء بعض الجامعات التي تضطر لإنشاء مكتبة لها.

9 ـ منافسة وسائل الإعلام الأخرى للمطبوعات، كالوسائل البصرية: التلفزيون، الفيديو، الإنترنت، السينما.. التي تقدّم في أغلبها المواد السطحية الهشّة التي لا تغني العقل والفكر والوجدان[1].

كيفية تطوير المطبوعات والاستفادة منها:

يمكننا تطوير المطبوعات الإسلامية لتكون صلة وصل بين الفكر الإسلامي والقارىء المسلم إذا اتبعنا الخطوات التالية:

1 ـ تشجيع حب المطالعة وتيسيرها بالتوسع بإنشاء مكتبات عامة وخاصة، وبخاصة لدى المؤسسات الإسلامية كالمساجد والمدارس الإسلامية والجمعيّات.

2 ـ تشجيع جميع الدارسين على الكتابة في ميادين جديدة كالقصص والمسرحية والمقالة، وفي مشاكل العصر، وربطها بالدعوة الإسلامية وتشجيع الموهوبين ودعمهم.

3 ـ نشر الكتب الفكرية والحضارية والإسلامية بكل الوسائل، وتسهيل نقلها بين المدن والدول.

4 ـ توجيه الدراسات العليا الجامعية إلى دراسات إبداعية، والإقلال من التحقيق أو نشر التراث إلا عند الضرورة.

5 ـ يجب أن تحاول كل مؤسسة إسلامية ـ مسجد أو جمعية إسلامية، أو مدرسة وجامعة إيجاد الكلمة المطبوعة، كالمجلات أو الصحف أو الكتب، وتطوير ذلك من المطبوعات إلى قطرية فقومية فعالمية[2].

---

(1) الصباغ: بسام: الدعوة والدعاة بين الواقع والهدف، دمشق، دار الإيمان، 1420 هـ/ 2000 م، ص: 571/ 572.

(2) المرجع السابق ذاته، ص: 572/ 573.